مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد:06 العدد: 02 (2022) ص399/410

رؤية في التاريخية العثمانية بين الحقيقة والمغالطة

The chronology of Ottoman history between truth and fallacy

معوش عبد الحميد*

جامعة محمد البشير الإبراهيمي/برج بوعريريج/الجزائر

abdelhamid.maouche@univ-bba.dz

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2022/02/03
تاريخ القبول:
2022/04/18

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الرؤية، التاريخية العثمانية، الحقيقة والمغالطة.

الملخص:

يعد التاريخ جزءًا مهما في بنية وهرمية تواجد وتطور الشعوب، وأحد ركائزها القويمة، ويمكن القول أن تنظيم الحقل التاريخي بالدقة المتناهية وعلى مستوى واحد من الفكر والاتفاقية الكلية في شأن الأحداث التاريخية يعتبر ضرب من المستحيل، وهذا ما تؤكده كتابات، وانتاجات أطروحات عديدة، ونظريات متنوعة لبعض المؤرخين والباحثين في هذا الشأن، والقصد من ذلك تاريخ الدولة العثمانية التي نجدها مدونة حتى في المناهج والكتب الدراسية في بعض المراحل الدراسية من الابتدائي إلى الجامعي، التي تشير على اختلاف موردها على أنها الاحتلال التركي، الانتداب التركي، الاستعمار التركي، الغزو التركي ... ولما لها من تأثير إيجابي أو سلبي حسب هوية وثقافة وغاية الفرد النهائية على العلاقة المتشابكة بين التاريخ والذاكرة المزدوجة بين الدول الإسلامية - التركية، الدول العربية - التركية، الجزائرية - التركية على الأخص، في علاقتها بالمفاهيم التاريخية والتاريخ المشترك عموما على الشباب الجزائري حاليا ومستقبلا، وهل يتجاوز بحكمة هذه التضليلات إن هي كانت أو يمضي قدما بإقرارها حقائق جلية.

Article info

Received
03/02/2022
Accepted
18/08/2022

Keywords:
- ✓ *The vision,*
- ✓ *Ottoman history,*
- ✓ *The truth and The fallacy.*

Abstract :

History is an important part in the structure and hierarchy of the existence and development of peoples, and one of their rightful pillars. It can be said that organizing the historical field with extreme accuracy and at one level of thought and total agreement regarding historical events is considered impossible, and this is confirmed by writings, productions of many theses, and various theories Some historians and researchers in this regard, and the intent of this is the history of the Ottoman Empire, which we find written down even in the curricula and textbooks in some school stages from primary to university, which refer to different sources as the Turkish occupation, the Turkish mandate, the Turkish colonization, the Turkish

*المؤلف المرسل

invasion.. And because of its positive or negative impact, according to the identity, culture, and ultimate goal of the individual, on the intertwined relationship between history and the dual memory between the Islamic-Turkish countries, the Arab-Turkish countries, and the Algerian-Turkish countries in particular, in their relationship with historical concepts and common history in general on the Algerian youth now and in the future. Does he wisely transcend these deceptions, if they are, or does he proceed with their acknowledgment of clear facts?

- مقدمة:

الإمبراطورية العثمانية يخيم عليها ضباب كثيف ويكتنفها مد وجزر حول حضارتها، بين عدو يحط من قيمتها، ومحب يعطيها ألقابا عالية الرفعة وشريفة، وهذا شيء طبيعي ولا شك فيه.

فمنهم من كان مدافعًا عن الدولة العثمانية أمثال الشيخ مصطفى صبري التي أوردَها، فاقتبس مِن كتاب أ. د. انكلهارد "تاريخ تطورات الدولة العثمانية" كلامًا يذكر فيه أن "الإسلام الذي قد كان مؤسِّس الحكومة العثمانية بقي حاكمًا مطلقًا فوق الحكومة ناظمًا، فقد كان القانون المدني متَّحدًا مع القرآن"، ثم يُفصِح عن نيات دول أوربا المسيحية التي ظلت تعمل على تقويض الدولة العثمانية بالقوة طيلة خمسة قرون، فلما فشلت اتَّبعت الحيلة لكي تحوِّل حكومة آل عثمان "من الروحانية إلى الدنيويَّة؛ بتخليصها عن تأثير القوانين الدينيَّة؛ كما وقع في العالم المسيحي.

منهم من يتوهَّم بسبب كل هذا أن خلافة العثمانيِّين تَقترِن بالاستعمار الغربي، بآثامه ومآسيه، وفظائعه وأهواله، التي ما زلنا نُعاني مِن آثاره الظاهرة والخفيَّة. على حد قول بعضهم الذي كال كل الطعنات للخلافة العثمانية، ورأى أن مصر الإسلامية لم تَعرف مِن الخطوب والنكبات نكبة أعظم مِن الفتح العثماني؛ بسبب الضربة التي أصابت الإسلامَ مِن جرائه، وشبَّه تصرُّفات الترك بأعمال السفك والتخريب الهائلة، التي بدأها هولاكو وبرابرة التتار بسحق الدولة العباسية والمدنية الإسلامية، واستأنفها تيمورلنك في أواخر القرن الرابع عشر.

بينما الحكم على دولة امتد عمرها نحو ستة قرون يقتضي آفاقًا أبعد، وتفاصيلَ أشمل، ولنقارن بين الأحداث التي لحقتْنَا تباعًا، وبين ما فعله العثمانيون مع العرب وغير العرب مِن دول آسيا وشمال إفريقيا وأوربا، ولنسأل أنفسنا: هل يعدُّ ما فعلوه فتحا أو تدخلا في الشؤون الداخلية أو خلافة أو استعمارًا أو...؟

في وضعية يصعب فيها الإجابة، حول كيفية العمل في البلورة الجيلية والرؤية الاستراتيجية بين حالات الثالوث الزمني الذي يمتد من النكوص التاريخي إلى الواقع المعيش إلى التواصل المستقبلي التي تزيح الحدود الوهمية وتحرر العقول المتعصبة، وتتجاوز مستوى الاختلال الثقافي بين الهوية الواحدة إن صح التعبير، التي يمكن بسببها أن يتوقف قطار الوحدة ويصعب لمُّ الشمل في أكثر من مقوم، وعليه ستأتي هذه الورقة البحثية التي ستبين تاريخية الدولة العثمانية. خاصة وأن الدول المهيمنة تستعمل هذا السلاح الفتاك والوتر الحساس لتعزف عليه معزوفة الفرقة (فرق تسد) والفتنة الطائفية والمذهبية، باستغلال بعض الهفوات الكتابية التاريخية لبعضهم عن حسن نية أو سوء طوية.

2. مكانة الترك في التاريخ:

لقد أكدت الدراسات الحديثة أن الترك قد احتلوا مكانة مرموقة كأحد أقدم شعوب العالم وأكثرها استمرارا وبقاء عبر العصور، وأن تاريخهم يضرب بجذوره في أعماق التاريخ إلى ما يقرب من أربعة آلاف عاما. والحقيقة أن حملات الهجرة المستمرة

التي بدأت من مواطن الترك في وسط آسيا منذ وقت مبكر، تبين أن الترك من أعظم الشعوب كثافة سكانية في العالم، الأمر الذي جعلهم يلعبون دورا هاما في التاريخ البشري **(محمود، 2002، ص 15)**.

1.2. دولة الكوكتورك:

تعتبر دولة الكوكتورك أول تشكيل سياسي معروف يحمل اسم "الترك" في التاريخ وقد حكمت هذه الدولة منطقة تمتد من البحر الأسود ومنغوليا وحتى حدود الصين الشمالية خلال الفترة ما بين عامي 525م – 744م **(محمود، 2002، ص 19)**.

2.2. الترك في عهد الإسلام الأول:

التقى المسلمون بالترك لأول مرة عند نهر جيحون (أوكسوس Oxus) بينما كانوا يتعقبون أثر يزدجرد الثالث آخر ملك ساساني، وفي الحقيقة لم يكن اعتناق الأتراك الإسلام نتيجة لهذه الفتوح، بل كان بمحض رغبة الترك أنفسهم، حيث أقبل الترك بعد فترة قصيرة على دين الله أفواجا إلا أن هناك عوامل ساعدت على انتشار الدين الإسلامي بين الترك كان على رأسها: **(محمود، 2002، ص ص 24 - 26)**.

أ. هجرة المسلمين العرب إلى المناطق المفتوحة تدرجيا، واستيطانهم بها، وحملهم مبادئ الإسلام وقيم الحضارة الإسلامية لتلك المناطق. ولم يكن ممكنا للأتراك الانتساب للمدنية الإسلامية إلا باعتناقهم الإسلام الذي كان يمثل كل مظاهر هذه المدنية.

ب. حركة التبادل التجاري بين الترك والعرب. ومن المعروف أن قوافل التجار في تلك العصور كانت تحمل أيضا الأفكار والأخبار والتيارات الفكرية والعقائدية والروحية مع البضائع. وهكذا، فإن نشاط التجار المسلمين في تلك المناطق حمل بين ثناياه مبادئ الإسلام وأركانه.

ت. النشاط الدؤوب للجماعات الصوفية في الدعوة لنشر الدين الإسلامي بين الترك في المناطق المفتوحة، وتؤكد الوثائق أن المدارس المستقلة التي انتشرت في خرسان وبلاد ما وراء النهر قد لعبت الدور الأهم في نشر الإسلام بين الأتراك.

ث. مساهمة مسلمي خوارزم في تأسيس المستعمرات الإسلامية بالقرب من نهر جيحون، ومد نشاطهم نحو الغرب والشمال الغربي.وتؤكد الدراسات الحديثة أن الشعوب التركية البعيدة عن حدود الدولة الإسلامية كانت أسبق إلى دخول الإسلام عن تلك التي تربطها بالدولة الإسلامية حدود مشتركة، ذلك بأن الاحتكاك الذي كان يحدث بين الجارين المتلاصقين جعل شعور العداء يغلب على حسن التفاهم، في حين أن الشعوب التركية البعيدة كانت تصلها الدعوة الإسلامية عن طريق التجار والدعاة بأسلوب هادئ حسن.

3.2. فتح القسطنطينية:

كان فتح القسطنطينية حلمًا يراودُ المسلمين منذ فجر تاريخِهم، وبشَّر به الرَّسولُ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قبل أن يحدثَ بثمانيةِ قرون ونصف قرن، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :(لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)[1]، وحاول كثيرٌ من الخلفاءِ والأمراء أن يحقِّقَ هذه البشرى، ويظفرَ بهذا الثَّناءِ النبوي، حتَّى استأثرَ به السُّلطانُ محمد الثاني بن مراد الثاني، الذي لُقِّب بالفاتح، وذلك في سنة (857هـ/1453م)، وتغيَّرَ بذلك وجهُ التَّاريخ، وخريطةُ العالم السِّياسية.

بُنيت القسطنطينية على أنقاضِ قريةٍ قديمة كانت تُسمَّى بيزنطة، يُقالُ :إنَّ بعضَ اليونانيين أنشؤوها حوالي سنة (657 ق.م)، فاتخذها الإمبراطورُ "قسطنطين" عاصمةً لدولتِه بعد سقوط روما والشطرِ الغربي من الإمبراطورية في أيدي الوندال، في القرنِ الرابع الميلادي وسمَّاها باسمِه، وأصبحتْ منذُ ذلك الحينِ عاصمةً للإمبراطورية الشَّرقيةِ، التي عُرِفتْ باسم دولة الروم.

في بداية القرن الرابع عشر، حين تأسست الدولة العثمانية، كانت هذه مجرد إمارة صغيرة داخل حدود العالم الإسلامي تعتمد فكرة الغزو [التعبير العثماني الشائع "غزو" الذي يرادف في الواقع تعبير الجهاد] ضد الكفار المسيحيين، وقد

أخذت هذه الدولة الحدودية الصغيرة، التي بدت غير مهمة حينئذ في التوسع بشكل تدريجي، وذلك بإخضاع وضم الأراضي التابعة لبيزنطة في الأناضول والبلقان، وقد أصبحت منذ 1517م، حين ضمت إليها المنطقة العربية، أقوى دولة في عالم الإسلام.

خلال عهد السلطان سليمان الأول (1520م – 1566م) تحولت الدولة العثمانية إلى قوة عالمية، وذلك بفضل النجاحات المتتابعة في الآفاق الواسعة التي تمتد من أوربا الوسطى إلى المحيط الهندي **(اينالجيك، 2002، ص 09)**.

4.2. السلطان عبد الحميد الثاني ومصالح الأمة:

حاول السلطان عبد الحميد الثاني منع الدولة من السقوط وقد نجح في ذلك وتأخير سقوطها لمدة ثلاثين عاما، كما حاول التصدي للمؤامرة الأوربية على الخلافة الإسلامية، ومن أبر أعماله إصدار أوامر (خط همايوني) بتاريخ 10 سبتمبر لإصلاح أحوال الدولة ومن أبرز ما جاء فيه: **(مسعود، 1995، ص ص 11 – 12)**.

أ. الحرص على أن تكون القوانين طبقا لأحكام الشرع الشريف المقدس.

ب. الإشارة إلى تمرد الأقليات النصرانية في أطراف هرسك وبوسنة ومسألة عصيان الصرب، والدم المرهق في الطرفين إنما هو دم أولاد وطن واحد، ويلزم التشبث بالتدابير المؤثرة المؤدية لاستئصالها.

كما كان حريصا على تشكيل مجالس شعبية تعاون الدولة في أداء مهمتها، منشئا برلمانا يتكون من مجلسين: أحدهما ينتخب الأهالي أعضاءه، ويسمى "مجلس المبعوثان"، والآخر: يعين أعضاؤه من طرف الدولة ويسمى "مجلس الأعيان" وبهذا يعطي أبناء الملل جميعا من رعايا الدولة العثمانية الفرصة للتعبير عن مطالبهم والإصلاح لأحوالهم، فيقطع الطريق على التدخل الأجنبي بحجة إصلاح أحوال النصارى.

أصدر أيضا قانونا أساسيا للدولة يشتمل على مئة وتسع عشرة مادة، ضمن لجميع رعايا الدولة الحرية والمساواة أمام القانون، وأتاح حرية التعليم مع جعله إجباريا على جميع العثمانيين، وحرية المطبوعات، وأن الدين الرسمي هو دين الإسلام وعلى أهمية الشورى، وعدم جواز عزل القضاة إلا بسبب شرعي.

لكن السلطان عبد الحميد كان يفتقد الرجال الثقات، وكانت المؤامرات تحيط به من كل جانب، ومن هؤلاء مدحت باشا الذي عارض الإصلاحات وتأمر على عزل السلطان عبد الحميد وكان يسعى إلى إسقاط الخلافة الإسلامية وتطبيق النظام الأوربي اللاديني، لهذا عزله السلطان عبد الحميد الثاني.

3. نشأة وتطور الدولة العثمانية خرائطيا: (مسعود، د ت، ص ص 93 – 98).

أسيا الوسطى شبه منحرف تحده من الجنوب جبال الهمالايا والجنوب الغربي هضبة اليامير ومن الغرب جبال تيان شان ومن الشمال جبال الألتاي ويابلونوى وستانوفوى ومن الشرق جبال كنجان وكوكونور. تبلغ مساحة آسيا الوسطى المحصورة بين هذه الحدود حوالي ستة ملايين كيلو متر مربع هي في مجموعها سلسلة من الجبال والهضاب والمنخفضات. وإذا استثنينا الصينيين الذين يسكنون آسيا الوسطى، أن القول بأن العنصرين اللذين يعمران تلك المناطق هما العنصر التركي والعنصر المغولي (و. بارتولد، 1996، ص 7).

في منطقة ما وراء النهر والتي نسميها اليوم (تركستان) والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقا إلى بحر الخزر (بحر قزوين غربا)، ومن السهول السيبرية شمالا إلى شبه القارة الهندية وفارس جنوبا، استوطنت عشائر الغز وقبائلها الكبرى تلك المناطق وعرفوا بالترك أو الأتراك **(الصلابي، 2001، ص 25)**. وهذه بعض الخرائط التي تبين وجود الدولة العثمانية عبر بعض الحقب الزمنية.

الشكل 1: المنطقة التي قامت عليها الدولة العثمانية.

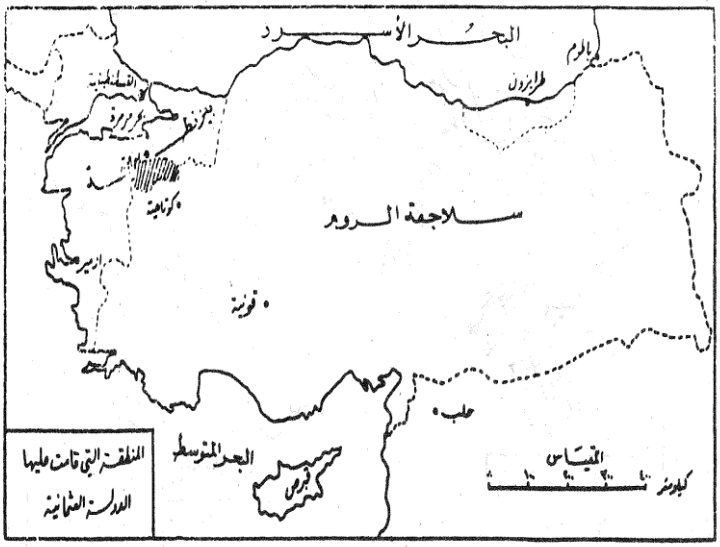

الشكل 2: الدولة العثمانية عام 741.

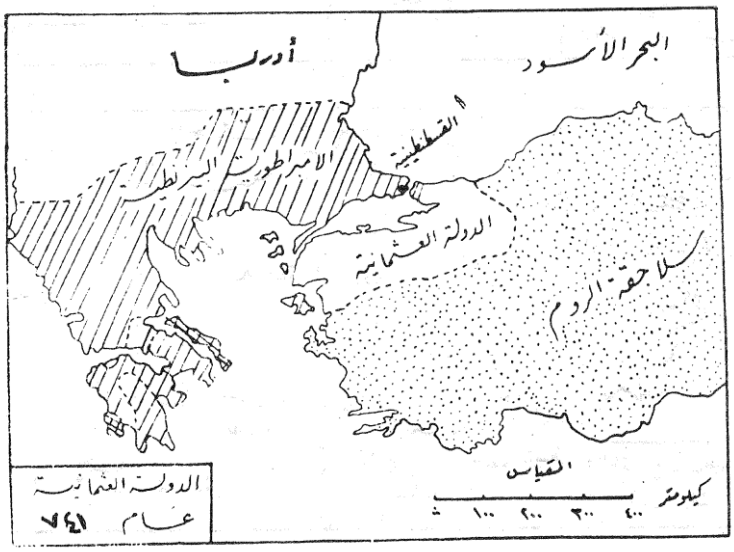

الشكل 3: الدولة العثمانية عام 848.

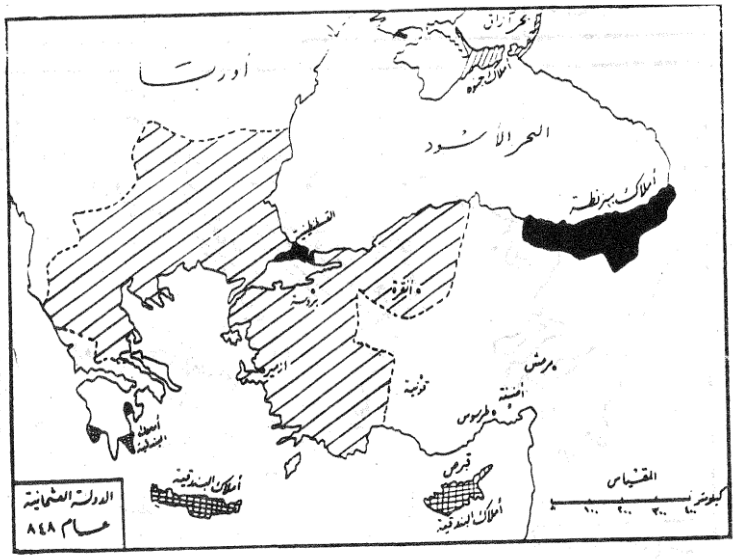

الشكل 4: الدولة العثمانية عام 886.

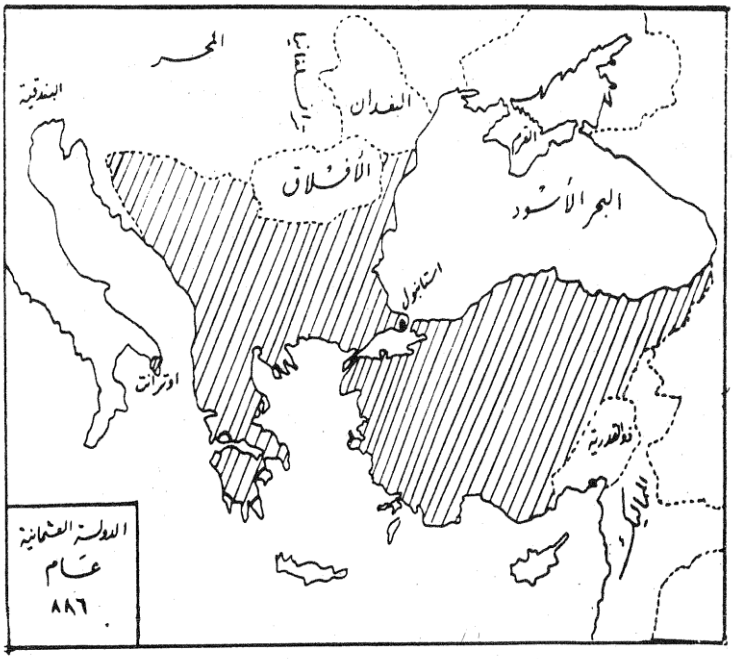

- قيام الدولة العثمانية:

انتهت دولة السلاجقة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري)، وظهرت مجموعة إمارات في الجهة الغربية من الأناضول (آسيا الصغرى) على الحدود البيزنطية، وقد تأسست هذه الإمارات المسلمة نتيجة الغزوات الإسلامية في آسيا الصغرى ضد البيزنطيين، وعرفت هذه الإمارات بإمارات الغزاة، وكانت إمارة عثمان إحدى هذه الإمارات، وقد استطاعت إمارة عثمان خلال قرن من الزمن أن تسيطر على كافة بلاد الأناضول في آسيا الصغرى والبلقان في الجهة الشرقية من أوروبا وأن تنشئ دولة إسلامية مترامية الأطراف هي الدولة العثمانية.

هناك روايات كثيرة تناولها المؤرخون عن نشأة الدولة العثمانية، فهناك رواية عثمانية وردت في الكتب التركية كانت بدايتها في القرن الخامس عشر الميلادي وتقول الرواية أن قبيلة تركية هربت أمام الزحف المغولي من أواسط آسيا إلى الغرب وسكنت في الأناضول (تركيا اليوم)، وكان قائد هذه القبيلة يدعى سليمان وهو والد أرطغرل وجد عثمان الذي سميت الدولة العثمانية باسمه، وتقول هذه الرواية أن أصل هذه القبيلة ترجع إلى قوم الغز أو (الأوغوز)، والغز نسبة إلى أوغوزخان وهو أحد أفراد شجرة عائلة آل عثمان التي ينتهي أصلها في نوح عليه السلام. وتضيف الرواية أن سليمان والد أرطغرل عندما هرب من ضغط المغول متجها إلى بلاد الروم غربا سلك طريق نهر الفرات فغرق في النهر ومات قرب قلعة جعبر وهي القلعة الواقعة ضمن الحدود السورية ويحرسها اليوم جنود أتراك. وقد خلف سليمان في حكم القبيلة ابنه أرطغرل ثم عثمان، وكان جد سليمان سلطانا على بلاد ماهان في تركستان، وهي البلد التي اشتهر منها أبو مسلم الخراساني، وربما أرادوا بهذه الرواية رفع شأنهم لأنهم ينتسبون إلى نفس البلد التي جاء منها أبو مسلم الخراساني المعروف تاريخيا (**جبارة، 2015، ص ص 17 - 18**).

دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى عام 1914م رغم أنفها وقد هزمت مع حليفتها ألمانيا عام 1918م وسقطت الدولة العثمانية على يد الحلفاء (فرنسا وبريطانيا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية). وفقدت الدولة العثمانية بسبب الحرب العالمية الأولى جميع المناطق التي كانت تحكمها في أوروبا، واستقل عدد من المناطق في البلقان، وشكلت دولا اعترفت بها الدول الأوروبية كلها وأصبحت أقوى حتى من الدولة العثمانية.

أطلق الأتراك اسما جديدا على الدولة العثمانية وهو «الدولة التركية» بعد الحرب العالمية الأولى، وخاصة زمن مصطفى كمال أتاتورك الذي أصبح رئيسا للدولة التركية، وألغى الخلافة الإسلامية عام 1924م وقلد الأجانب في لباسهم وعاداتهم، ولم تعترف الدول الأوروبية بالدولة التركية إلا بعد التوقيع على معاهدة لوزان وإلغاء الخلافة **(جبارة، 2015، ص 4)**.

4. الجزائروالخلافة العثمانية:

ترددت أصداء كارثة تلمسان بقوة في ضمائر أبناء الجزائر، واجتمع فيها من الشيوخ و الزعماء لمناقشة الموقف، وقرروا أن يسندوا إلى خير الدين واجب إمارة الجهاد بعد أخيه، ووافق على أن يتم ربط الجزائر بالدولة العثمانية وتم ذلك سنة 1518 م وعين خير الدين بارباروس حاكما ولقب (باي لارباي) أي (باي البايات).

عمل السلطان العثماني سليم بعد ذاك مباشرة على إرسال دعم إلى الجزائر يتكون من قوة بحرية محملة بأربعة آلاف مقاتل من المتطوعين الأتراك وكميات ضخمة من الأسلحة والذخائر والتجهيزات البحرية. انصرف خير الدين لتنظيم أمور الدولة الجديدة في المغرب الأوسط (الجزائر) **(منشورات المعهد الوطني لمستخدمي التربية وتحسين مستواهم، 2005، ص 07)**.

عندما استولى الأسبان على ميناء المرسى الكبير بوهران عام 1505م، وفي عام 1509م سقطت بيدهم كل من مدن وهران وأرزيو، وتمكنوا في سنة 1510م من دخول مستغانم وتنس ودلس وشرشال وبجاية. وكان هدفهم احتلال كامل الجزائر واستمروا شرقا حتى طرابلس مرورا بتونس.

لجأت دولة الزيانيين في هذه الفترة إلى عقد صلح مع الأسبان سنة 1512م، وهو اعتراف بالعجز عن مواجهة الزحف الإسباني. ووجد الأهالي من سكان بجاية في العثمانيين خير نصير لهم فاستنجدوا بهم وكذلك فعل سكان مدينة الجزائر.

لبى البحاران عروج وخير الدين نداء النجدة ورست سفنهما بميناء جيجل عام 1513م، ثم بمدينة الجزائر عام 1516م، وفي سنة 1519م أصبحت الجزائر ولاية عثمانية **(وزارة التربية الوطنية، 2014، ص 84)**.

5. إشارات الحكم العثماني في التعليم الجزائري:

1.5. في التعليم الابتدائي: (وزارة التربية الوطنية، 2013، ص ص 10 – 11)

الشكل 5:بعض الشخصيات العثمانية المذكورة في كتاب التاريخ للسنة الرابعة ابتدائي.

الشكل 6:تمرين حول التقسيم الإداري في العهد العثماني في كتاب التاريخ للسنة الرابعة ابتدائي.

المصدر: (وزارة التربية الوطنية، 2013، ص 11).

2.5. في التعليم المتوسط:

ينتسب الأتراك العثمانيون إلى عشيرة قابي وهي إحدى القبائل التركية، منشؤها بلاد تركستان، وفي عهد عثمان بن أرطغرل الذي تولى حكم قبائل الأتراك سنة 1288م بعد وفاة والده وبموافقة السلطان علاء الدين السلجوقي تم توسيع الإمارة بالاستيلاء على أجزاء من دولة الروم الشرقية في آسيا الصغرى.

لما قام المغول بمداهمة دولة السلاجقة، وبعد وفاة السلطان علاء الدين السلجوقي، زالت دولة السلاجقة من أسيا الصغرى وأعلن عثمان الاستقلال التام عن الخلافة العباسية سنة 1299م. وبذلك وضع أساس الدولة التي أخذت اسمها منها **(وزارة التربية الوطنية، 2014، ص 68)**.

3.5. في التعليم الثانوي:

أعظم الدول الإسلامية اتساعا، تكونت بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر على يد الأتراك العثمانيين بعد تفكك إمبراطورية السلاجقة، اتسعت رقعة البلاد تحت حكم عدد من السلاطين (عثمان الأول مؤسس الأسرة العثمانية ومراد الأول وبايزيد الأول) على حساب الإمبراطورية البيزنطية وبلغاريا وصربيا، حيث أحرزوا على انتصارات باهرة (في بورصة، كوسوفو ونيكوبول).

توقف امتداد الدولة لفترة قصيرة حينما هزم تيمورلينك بايزيد الأول وأسره سنة 1402م، تمكن محمد الفاتح من فتح القسطنطينية سنة 1453م فبلغت الدولة ذروة مجدها في عهد سليم الأول الذي تمكن من ضم الشام ومصر (1516م – 1517م) وتنازل له الخليفة العباسي المتوكل عن لقب الخلافة، كما اتسعت في عهد سليمان القانوني، حيث أسبحت القوة المركزية التي ستقود العالم الإسلامي باسم الخلافة إلى غاية سقوطها سنة 1923م بموجب معاهدة لوزان **(وزارة التربية الوطنية، 2006، ص 16)**.

6. الجزائر في ظل الحكم العثماني:

مرت الجزائر عبر تاريخها العثماني بأربع مراحل رئيسة هي كالآتي: **(وزارة التربية الوطنية، 2006، ص 92)**.

1.6. مرحلة البايلربايات (1518م – 1587م):

تولى قيادة الجزائر 12 بايلربايا مع تكرار عهدة حسن باشا بن خير الدين ثلاث مرات وحسن فنزيانيو مرتين وتميزت بـ:

أ. بناء القوة البحرية.

ب. تحرير جل سواحل المغرب الإسلامي.

ت. رسم الحدود الجزائرية مع المغرب.

ث. ضم كل من تونس وليبيا لحكم الجزائر.

2.6. مرحلة الباشوات (1587م – 1659م):

تولى قيادة الجزائر 43 باشا مع تكرار رئاسة كل من: خضر باشا أربع مرات، أبو جمال يوسف ثلاث مرات، أما كوسة مصطفى حسين الشيخ وإبراهيم باشا فتكررت رئاستهم للجزائر مرتين، وقد تميزت بـ:

أ. تحديد فترة حكم الباشا بثلاث سنوات.

ب. استمرار الجهاد البحري.

3.6. مرحلة الأغوات (1659م – 1671م):

تعد هذه الفترة أقصر مراحل الحكم التي مرت بها الجزائر حيث تولى قيادتها 4 أغوات وهم: خليل أغا، رمضان أغا، شعبان أغا، علي أغا، وقد تميزت بـ:

أ. تحديد فترة حكم الأغا بسنتين.

ب. اهتزاز نظام الحكم نتيجة الصراعات بين ضباط البحرية وضباط الجيش البري.

4.6. مرحلة الدايات (1671م – 1830م):

هي أطول فترة حكم تولى قيادة الجزائر خلالها 29 داي وقد تميزت بـ:

أ. الاستقلال الذاتي في تسيير شؤون البلاد داخليا وخارجيا.

ب. تصفية التواجد الأسباني نهائيا في الجزائر.

ت. بروز مكانة الجزائر الدولية.

ث. تأثر الجزائر بالعلاقات بالأوربية الداخلية والخارجية.

ج. ظهور مخططات فرنسية لاستعمار الجزائر (1798م – 1830م).

7. أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني 1518- 1830:

لم يكن التدخل العثماني في المغرب العربي أمرا متوقعاً، ولم يكن يدور في أروقة الدولة العثمانية نفسها ذلك الأمر، فضلاً عن أن التدخل لم يكن نتيجة وتصميم عثمانيين، بل حكمت الأمر الظروف السائدة في المغرب العربي بعد غزوات الأسبان المتكررة على سواحلها، وظهور عروج للدفاع عنها، وإنقاذ المسلمين من سيطرتهم حتى وفاته، وتسلم أخوه خير الدين السلطة من بعده، وطلب من السلطان العثماني سليم الأول الانضواء تحت حكمه نتيجة مبادرة اشترك فيها أهل الجزائر، كرد فعل منهما على التدخل الاسباني، وبعد استتاب الأمر وتوحيد الجزائر تحت مسمى واحد، أصبحت الجزائر تحكم كدولة كبرى شأنها شأن أية دولة أخرى وأخذ حكامها على امتداد مراحل الحكم حتى عهد الدايات يطورون عمل أجهزتها الإدارية، والمؤسساتية، واستكمال متطلبات الدولة الاقتصادية، والاجتماعية وتنظيمهما حسب الشريعة الإسلامية دون التدخل بالنسيج الاجتماعي أو اللحمة المغاربية، بل فضل العثمانيون الاهتمام بأنفسهم والحفاظ على مكانتهم في المجتمع الجزائري، من خلال قمع الثورات التي كانت تحصل من قبل أبنائهم الكرغول، وكذلك المشاكل التي تحدث بين رياس البحر والانكشارية

للسيطرة على الحكم، أما علاقتهم بالدولة العثمانية التي باتت محدودة بعد فقد الأخيرة عدداً من أراضيها لروسيا والنمسا، وأصبح الرابط الديني هو الذي يربط بين الاثنين، بعد أن فضلوا إرسال الهدايا والأموال وجلب الانكشارية لمساعدتهم على إدارة دفة الحكم دون تدخل الدولة العثمانية مباشرة في حكم الجزائر، إذ أن الاتفاقات الرسمية بين الجزائر والدول الأوربية كانت تجري باسم الحكام الجزائريين وليس باسم السلطان العثماني وهو ما ولد وضعاً دولياً خطيرًا كانت نتائجه سلبية على الجزائر، ولاسيما بينها وبين فرنسا التي انتهت باحتلال الأخيرة في 5 تموز 1830 وفرض معاهدة مع الداي حسين لتسليم وإنقاذ نفسه ومعيته **(المشهداني، 2013، ص ص 413 – 414)**.

أعلنت تبعية الجزائر رسمياً للدولة العثمانية بمنح خير الدين لقب (بيگمربيك) أو بايلر باي بمعنى (أمير الأمراء) ونائب السلطان والعامل باسم الباديشاه، وبذلك تكونت إيالة (ولاية) الجزائر، ودعيّ للسلطان العثماني على المنابر وضربت السكة باسمه، وخضعت إدارة الجزائر لإدارة خاصة ضمن منظومة أوجاقات الغرب [الأوجاق بمعنى الموقد، أطلقت في اللغة التركية على البيت ثم على الجماعة التي تتلاق في مكان واحد ثم على طائفة من طوائف أرباب الحرف ثم أطلقت في العهد العثماني على صنف من أصناف الجند، وعلى كل الهيئات المختلفة من القبول إن يقال: أوجاق الانكشارية، أوجاق الغرب، أوجاق التنفكجية ...، والأوجاقي اصطلاحا هو الجندي أو العسكري] (باموك، 2005، ص 91)، وبذلك نظم خير الدين الجزائر بعد إن أصبحت إيالة عثمانية تنظيماً عسكرياً، لم يطرأ عليها تغيير كبير حتى الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830م، وتألفت من المشاة فقط لأن الفرسان كانوا يؤخذون من بين قدامى الأغوات أو أبناء البلاد الأصليين للحفاظ على السلطة فيها **(ريمون، 1991 ص ص 56 – 58)**.

كاد المغرب العربي كافة أن يسقط تحت الضربات الأسبانية والبرتغالية الفتاكة، لولا أن تدخل القدر، وحدثت المعجزة بتدخل بطلين من أبطال الإسلام الخالدين: بابا عروج التركي وشقيقه خير الدين، في ميدان الكفاح الجزائري. كانا على رأس عمارة بحرية من القرصان الأتراك، يعملان متطوعين في سبيل الله لإنقاذ مهاجري الأندلس، والاجتياز بهم لأرض المغرب.

أخذت وفود المسلمين الجزائريين تترى على الزعيمين البحريين، طالبة منهما النجدة والإنقاذ، والإعانة على دفع الأسبان عن السواحل وعن البلاد. فجمع التركيان غمارة قوية، وتدخلا فعلا، وحاربا الأسبان جنبا إلى جنب مع مقاتلي الجزائر الذين التفوا حولهما، وتكونت قوة جديدة في البلاد ما لبثت أن طهرت البلاد من التدخل الأسباني الفظيع، ولم تستطع دولة بني زيان الثبات وسط هذه الزعازع، إذ تخلى عنها الناس، فانتهى أمرها، وأصبح خير الدين باشا يلقبه الفرنج "بارباروس" صاحب الحكم في القطر الجزائري سنة 1519م، فاتخذ من جزائر بني مزغنة عاصمة للملك الإسلامي الجديد، وأمر بردم البحر بين مختلف الجزيرات الصغيرة وأقام عليها جدارا وقلعة يحتمي وراءهما مرسى المدينة. وهكذا تنشأت مدينة الجزائر وبسطت في مدة قليلة جدا سلطانها على كامل البلاد التي أصبحت تدعى البلاد الجزائرية، وقبل السلطان سليمان القانوني ضمها إلى السلطة العثمانية، كولاية ممتازة **(أحمد، 2001، ص 57)**.

8. عالمية الدولة العثمانية:

حتى عام 1596 م لم تعد هناك في السياسة الدولية أية مسألة لا تعني العثمانيين، وهكذا جاء الانقسام الأوربي الحاصل بين شارل الخامس وفرانسوا الأول كمرشحين لتاج الإمبراطورية الرومانية المقدسة، حيث وعد كل واحد منهما أن يستنفر كل القوى الأوربية ضد الدولة العثمانية لصالح العثمانيين **(اينالجيك، 2002)**.

9. أهم محطات كرونولوجيا الدولة العثمانية: (اينالجيك، 2002، ص ص 317 – 332).

1269م - أتراك منتشه يهاجمون موانئ بيزنطة في قاريا.

1301م – انتصار عثمان الغازي في بافيون.

1308م – أتراك أيدين يفتحون برجيون وموت مسعود الثاني، السلطان السلجوقي الأخير.

1327م – أول عملة فضية عثمانية (الأقجة) تسك في بورصة.

1332م – أول حملة لبك إزمير عمر باتجاه البلقان.

1335م – سقوط الإمبراطورية المغولية في إيران.

1337م – الفتح العثماني لنيقوميديا (إزميت).

1345م – ضم إمارة قرة سي للدولة العثمانية.

1387م – العثمانيون يفتحون سالونيك، وينتصرون على القراما نيين.

1401م – بايزيد الأول يفتح أرزنجان.

1438م – مراد الثاني يقود حملة عسكرية باتجاه أردل.

1439م - مراد الثاني يخضع سمدرفو وسقوط صربيا.

1466م – حملة بقيادة محمد الثاني ضد اسكندر بك وبناء الباسان.

1496م – العثمانيون يتوغلون في الجبل الأسود.

1499م – الأسطول العثماني ينتصر بالقرب من نافارين.

1512م – سليم الأول يرغم والده على التنازل عن العرش.

1514م – سليم الأول ينتصر على الشاه إسماعيل في معركة جالديران.

1515م - تمرد للإنكشارية وسقوط كماخ وضم إمارة ذو القدر.

1516م – العثمانيون يفتحون ديار بكر ويخضعون شرق الأناضول لهم.

1520م – وفاة سليم الأول وتولي سليمان الأول للحكم.

1521م – فتح بلغراد.

1529م – سليمان الأول يفتح بودا ويحاصر فيينا.

1533م – الصلح مع فرديناند وخير الدين باربروسا أميرا للبحر واندلاع الحرب مع إيران.

1559م – اندلاع الحرب الداخلية بين ولدي سليمان الأول سليم وبايزيد.

1600م – العثمانيون يفتحون كانيجا.

خلاصة:

حسب نظرية ابن خلدون في الحضارة من حيث التطوُر والانهيار، ومن خلال التحليل الدقيق لمراحل تكوينها ومظاهر قوتها، ومن ثم ضعفها وانهيارها وسقوطها يمكن القول من يعتبر الغزو من شروط بناء الحضارة، ومنهم من يعتبره انتصارا وحماية وذود عن حمى وحياض الأوطان. حيث عدد أهم أسباب النشوء: الجغرافية، والانتقال من البداوة إلى الحضر، الثروة، السياسة التي لها النصيب الأكبر في بناء الحضارات والعدل الذي يعتبر شرطا رئيسا في التطور والبناء. وراح ابن خلدون يسوق الأسباب التي تشير إلى هبوط واضمحلال الحضارة، ومنها: غلبة العرب على الأوطان، والتحكم بطبيعة الملك كالانفراد بالمجد، حصول الترف والدعة، انقسام الدولة الواحدة إلى دولتين، والظلم وغياب العدل الذي لا يقل أثرا عما سبق.

لما وصل العثمانيون إلى شرق أوربا، وكلها سجون أبدية يتوالد فيها الفلاحون للعبودية، فكسروا أغلال السجون، وأقاموا مكانها صرح الحرية الفردية، فهم قضوا على نظام الإقطاع والأرستقراطية؛ ليحلَّ محله نظام المواطن الحرِّ، والرعاية المتساوية الحقوق، فوصل في دولتهم الرقيقُ الشركسي والصقلي وغيره إلى أكبر مقامٍ في الدولة، كما وصَل النابِه مِن عامَّة الناس حتى المجهول الأصل إلى مقام الصدارة العُظمى والقيادة العليا، وتعلَّمت أوربا الشرقية على يد محرِّريها سيادةَ القانون على

الأحساب والأنساب، والطرائق والمِلَل والنِّحَل، ونتيجة لذلك، أطلق السكان العرب على القوات العثمانية المرابطة في بلادهم اسم الحامية العثمانية، ولم يطلقوا عليها جيش الاحتلال العثماني؛ كما أن أحد المفكرين المسلمين وهو الشيخ محمد عبده وصفها بأنها الحافظة لسلطان الدين، وأن المحافظة عليها يعد ثالث العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله.

بهذه الواجهة الشرعية فرض الأتراك أنفسهم على العرب، واعتبرهم العرب أصحاب أياد بيضاء في رفع شأن الإسلام في أوربا ونشره في العديد من البلدان، لدرجة أن الأفراح والزينات كانت تقام في العديد من العواصم الإسلامية عقب كل انتصار يحرزه العثمانيون، وكان المسلمون في شتى البلدان يعتبرون السلطان العثماني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأب الروحي للمسلمين الذي يجب عليهم طاعته، ويرون المحافظة على الدولة العثمانية ثالث العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله.

يتدخل بعض العلماء والمؤرخين ليُصحِّحوا هذه المعلومات، فيذكِّروا بأن الدولة العثمانية ليست استعمارية، وأن الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، وأننا لا نضع الأحداث في إطارها التاريخي الذي حدثت فيه.

- المراجع:

- أحمد، توفيق المدني، (2001)، **هذه هي الجزائر**، مصر، مكتبة النهضة المصرية.
- اينالجيك، خليل، (2002). **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، ط 1، (ترجمة محمد م الأرناؤوط)، لبنان، دار المدار الإسلامي.
- باموك، شوكت، (2005)، **التاريخ المالي للدولة العثمانية**، (ترجمة عبد اللطيف الحارس)، لبنان، دار المدار الإسلامي.
- جبارة، تيسير، (2015)، تاريخ الدولة العثمانية (1280 – 1924م)، فلسطين، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا جامعة القدس المفتوحة.
- ريمون، أندري، (1991)، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، (ترجمة لطيف فرج)، مصر، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
- الصلابي، علي محمد محمد، (2001)، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط 1، بورسعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- محمود، سيد محمد السيد، (2002)، **تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار**، ط 1، مصر، مكتبة الآداب.
- مسعود، جمال عبد الهادي محمد وآخرون، (1995)، **أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ الدولة العثمانية**، ج 2، ط 1، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
- مسعود، جمال عبد الهادي محمد وآخرون، (د ت)، **تاريخ الأمة الواحدة صفحات من تاريخ الدولة العثمانية (1299 – 1924م)**، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- المشهداني، مؤيد محمود حمد؛ ورمضان، سموان رشيد، (2013)، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 – 1830، **مجلة الدراسات التاريخية والحضارية**، 05 (16)، 413 – 414.
- منشورات المعهد الوطني لمستخدمي التربية وتحسين مستواهم، (2005)، **الجزائر العثمانية**، الجزائر.
- و. بارتولد، (1996)، **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**، (ترجمة أحمد السعيد سليمان)، مصر، الهيئة المصرية العامة.
- وزارة التربية الوطنية، (2014)، **كتاب التاريخ السنة الثالثة المتوسط**، ج 1، الجزائر، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.
- وزارة التربية الوطنية، (2013)، **كتاب السنة الخامسة الابتدائية**، الجزائر، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.
- وزارة التربية الوطنية، (2006)، **التاريخ للسنة الأولى من التعليم الثانوي**، الجزائر، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.